هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان – العدد ٤ جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ فبراير ١٩٨٧م

الافتتاحية

# مهمة العلماء

إن المكانة التي ينالها العلماء بين صفوف المسلمين لا تعدلها مكانة أبداً، وإن عناية المسلمين بتسجيل دقائق حياة علمائهم مشهورة ومشهودة، تشهد بها آلاف كتب التراجم والطبقات التي حفظت هذا المقدار الهائل من أسماء العلماء على مدار العصور ، وعلى اختلاف مناحي المعرفة.

وسبب ذلك أن النظرة إلى العلم والعلماء قضية داخلة في صلب العقيدة الدينية، فقد ترسخت هذه المكانة للعلماء من يوم أن اعتبر أن العلماء هم ورثة الأنبياء، ومنذ تفرق الصحابة - رضي الله عنهم - في البلدان، ينشرون الدين، ويعلمون الناس ما جاء به محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - من العلم والنور والهدى.

وقد كان المنصب العلمي غير منفصل عن منصب القيادة السياسية في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وفي حياة خلفائه الراشدين، بل وفي حياة بعض الخلفاء الذين تحول الأمر على أيديهم إلى ملك عَضوض.

وبعد ذلك بدأت العلاقة بين المكانة العلمية والمنصب السياسي تتراخى، حتى أصبحت طبقة العلماء متمايزة تقريباً عن طبقة الحكام ، إلا في استثناءات يسيرة.

ومع هذا ، فإن عامة الناس ازداد التفافها حول علمائها ، فبينما كانت العلاقة بينهم وبين القادة السياسيين - في الغالب - تحكمها الأمور الرسمية ، وتحيط بها مشاعر الرهبة والخوف لأنها كانت ناتجة عن استخدام القوة والإكراه ، كانت علاقتهم بالعلماء علاقة قلبية تقوم على مشاعر الولاء الداخلي الصادق النابع من عقيدتهم ، وذلك لأنهم كانوا يجدون في هؤلاء العلماء الملاذ من قسوة الظروف ، وكانوا يلتمسون عندهم الحلول لمشاكلهم ، والنور الذي يهتدون به حينما كانت تشتد عليهم الأحوال الداخلية أو الخارجية.

وحينما حصل الانفصال بين العلم وبين القيادة ، وتسلط على الناس مَن لا يبالي ولا يقيم وزناً لمثل هذه المؤهلات - أصبحت هيبة العالِم تزداد ، وأثره يترسخ بقدر بُعده عن أبواب هؤلاء السلاطين ، وكان هذا نوعاً من المقاومة السلبية لهذه الحال غير الطبيعية.

ولو أننا أردنا أن نستخلص مميزات للعلماء الذين بقوا في ذاكرة الأمة ، واستمر أثرهم حياً بعد موتهم، من خلال استعراضنا لتاريخ العلم والعلماء لأمكننا أن نعثر على كثير من الصفات التي كفلت لهؤلاء العلماء جميل الذكر وعميق الأثر في حياتهم وبعد مماتهم ، ومن ذلك: